

## أثر اللسانيات التداولية في فهم الدلالات البلاغية للتشبيهات في العربية

د. هاجر أحمد المومني\*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٠/٧/١٢م.

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢٠/١/٢١م.

### ملخص

يدور هذا البحث حول أثر اللسانيات التداولية في الوقوف على فهم دقيق لأنواع التشبيه، والدلالات التي يستخلصها المنهج اللساني التداولي من ترتيب لنشأة كل واحد من التشبيهات في العربية، والكشف عن ارتباط ذلك بالتطور التاريخي للعربية بأسرها. ففي الوقت الذي كانت فيه العربية تشق طريقها إلى التطور ك انت البلاغة تقدم نفسها جزءاً من هذا التطور. ولقد كان العرب على الرغم من الأمية الشائعة بينهم على قدر كبير من البلاغة.

بناء على ذلك فإن البحث يهدف إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما الدلالات التي يمكن استنتاجها من التشبيهات التالية: التشبيه المرسل المفصل، التشبيه المرسل المجمل، التشبيه المؤكد المفصل، والتشبيه المؤكد المجمل (البليغ).

٢. لماذا ظلت هذه التشبيهات جارية على ألسنة العرب مع أن التطور يقتضي غالباً الاستغناء عن بعض المراحل فيطويها النسيان؟

٣. ما التصور الذي يمكن وضعه للترتيب التاريخي لهذه التشبيهات باستعمال المنطق اللساني التداولي الذي يعمل في هذه الحال من الداخل؟

٤. ماذا يمثل التشبيهان التمثيلي والضمني من تطور الوعي الجمالي في العربية؟

أما المنهج المُتَّبَع في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي. أما كونه وصفيًا فلأن الوصف هو الطريق الصحيحة في استقراء التشبيه، ووصف بياناته، واستقراء دقائقه وتفصيلاته. وأما كونه

\* مركز اللغات وقِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، جامعة اليرموك، إربد/الأردن، الرَّمز البريدي: (٢١١-٦٣)، ص.ب: (١٢٠٥).

قسم اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدابها، كَلِيَّةُ العِلْمِ الإنسانيَّةِ والاجتماعيَّةِ، جامعة الإمارات العربية المتَّحدة، العين/الإمارات العربية المتَّحدة، ص.ب: (١٥٥٥١).

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

تحليليا فلأن الموضوعات البلاغية تحتاج إلى تأمل واستنباط، وهما أمران يحتاجان إلى تحليل للوقوف عليهما في البلاغة العربية، وبخاصة تشبيهاتها. والبلاغة وعي جمالي قبل كل شيء، فهي لذلك في حاجة إلى تحليل.

وقد توصل البحث إلى نتائج كثيرة منها: أن التشبيه ضرب من المبالغة، ولكنه ليس من المبالغة بالمفهوم الشائع عند البلاغيين والنحاة. ومنها أنه وضع تصورًا لترتيب نشأة كل واحد من التشبيهات، وأن أقدم التشبيهات نشأة هو التشبيه الذي تجتمع فيه الأركان الأربعة. هذا في التشبيه المفرد. وأما التشبيه التمثيلي فهو أحدث نشأة، ولكن التشبيه الضمني هو أحدث التشبيهات نشأة في تاريخ العربية، بمقتضى النظر اللساني التداولي. ومن هذه النتائج أني وجدت أن دواوين كاملة من الشعر العربي القديم ليس فيها تشبيه ضمني واحد.

**الكلمات الدالة:** اللسانيات التداولية، التشبيه، البلاغة.

## **The Impact of Linguistic Pragmatics in the Process of Understanding the Meanings of Simile in Arabic**

**Dr. Hajar Ahmad Al-Momani**

### **Abstract**

This research aims at clarifying the impact of linguistic pragmatics in the process of understanding the meanings of simile in Arabic. This could be underlined in the following questions:

1. What kind of meanings can be extracted from of simile in Arabic?
2. Why did the popular similes continue to exist despite the fact that some stages of development can be dispensed?
3. How can we build a conception of chronological order for similes?
4. How can we extract the aesthetic Arabic conception of simile?

This research has been built according to the descriptive methodology.

The research ended up with the following results:

1. The meanings of similes are different according to the existence of the structure of each simile.
2. The popular similes continue to exist according to the functions.
3. The chronological order of the similes is built according to the principles of language development.

**Keywords:** Simile, Popular Simile, Aesthetic Conception.

## مهاده:

اللسانيات توجه حديث في الدرس اللغوي المعاصر، ولكن له جذورًا راسخة في التراث النحوي والبلاغي والدلالي. وهو منهج يتجاوز التنظيم الشكلي، ويفتقن في فهم أبعاد الكلام من حدودها الدنيا، إلى حدودها القصوى، ليجعل البلاغة أكثر من مجرد كونها تحليلًا شكليًا يحتكر في شكلانيته التصنيفات التقليدية للدرس البلاغي. وهذه المسألة هي التي جعلت البحث محصورًا في هذه المشكلة العلمية بالاستقصاء والتحليل، فكان البحث موسومًا بكلماته المحددة للمشكلة:

## أثر اللسانيات التداولية في فهم الدلالات البلاغية للتشبيهات في العربية:

لم تكن صلة اللسانيات بالبلاغة يوما صلة مفتعلة، بل هي صلة فاعلة على المستويات العلمية ذات الجانب التاريخي، والجانب الموضوعي. أما من الجانب التاريخي فإن اللسانيات التاريخية تجعل فهم الباحث يمتد إلى تاريخ البلاغة، فيحدد مواقعها التطورية على نحو محكوم بالمنطق العلمي، فيقف على ترتيب تطور الموضوعات البلاغية في اللسان العربي، ترتبًا يدل على تطور الذوق العربي نحو مراقبي الكمال في الكلام. وأما من الجانب الموضوعي فإن اللسانيات لا تحصر نفسها بموضوعات محددة تحصر الفهم في تفكيك بنية تشبيهية أو مجازية أو استعارية أو كناية، مع الاحتفاظ بالقول على أهمية ذلك طبعًا. ولكنها علاوة على ذلك تبسط جناحيها على المتداول في اللسان العربي، فيصبح كل استبطان لوارد الكلام وشارده استجلاء لبلاغته، بل إنها تنظر في الأطر والمضامين النحوية لتجعل النحو بلاغة، فتصحّ المقولة اللسانية: النحو بلاغة والبلاغة نحو مقولة صادقة موافقة لمنهج الجرجاني في الربط بين النحو والمعنى والبلاغة.

وتظهر أهمية هذا التناول في أنه يتجاوز المألوفات إلى فهم أبعادها المكتنزة بالعدول حينًا والموافقة حينًا آخر. وهذا أمر في غاية الوضوح الذي يخفى على بعض الناس، فما كانت أنواع التشبيه مثلًا لتملأ ذاكرة الكلام من قبيل الترف اللغوي، ولكنها كانت عدولًا ووافقة بمقتضى تطور الذهنية الجمالية عند العرب. كانت عدولًا عن تشبيه معين يملأ حيزًا في مفاتن الجمال لسانًا وسمعا وتصورا، إلى تشبيه آخر اقتضاه التفكير البلاغي الراقي عند العرب. وهما - عدلا ومعدولا عنه - يمتحان من بئر واحدة، إنها التطور الذوقي الجمالي في اللسان العربي. ومن المؤسف أن البحث العربي لم ينظر إلى التطور البلاغي على اعتبار أنه هو نفسه مرقى جمالي. لقد أتى على البحث البلاغي حين من الدهر كان مقتصرًا على بعض وجوه الوعي البلاغي عند العرب، ولم يتجاوزها. ولكن عبد القاهر الجرجاني وضع المعالم الرئيسية للتصور التداولي الذي يكشف عن جماليات اللسان العربي على نحو مختلف عما جرى عليه الأمر في البلاغة التقليدية. ولا شك أن هذا البحث قد أفاد

كثيراً من الجرجاني، أفاد منه موجهها، وأفاد منه في أنه فتح له أبواباً أخرى ولج منها إلى حقائق أخرى كثيرة.

### المبحث الأول: مقدمات منهجية

يتضمن هذا المطلب نُبداً عن المقدمات المنهجية الآتية: المشكلة البحثية التي على أساسها بُني البحث، والأهمية التي يُتوخى الوصول إليها ومن شأنها أن تُسهم في فهم التطور الذي نشأت وترعرعت الفنون البلاغية بمقتضاه على أسنة العرب، وهذا له صلة كبيرة بالهدف الأساسي لهذا البحث، فبمقدار ما يتحقق من هذا الهدف تكون أهمية البحث التي يقف عندها القارئ الحصيف، ثم المنهج الذي اتُّبع في الوصول إلى الهدف، والدراسات السابقة. وهذا بيان ذلك:

### مشكلة الدراسة:

كانت البلاغة عند العرب إبداعاً في التصور ينجم عنه إبداع في القول. والإبداع في القول وسيلة إلى بلوغ درجة عالية من التأثير في نفس المتلقي. فالقول البليغ ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة راقية لخروج المتكلم من حوزة التعبير المباشر، إلى آفاق فهم الجمال المتمثل في الربط بين التبصر ولغة التعبير عنه. وهذه درجة متقدمة في اللسانيات التواصلية. وقد حاول المشتغلون بالبلاغة من علماء العربية أن يقفوا على حقيقة الجمال البلاغي في العربية، فكان استخراجهم لبعض ما صار يُسمّى فنون البلاغة، كالتشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، ثم فرّعوا على كل فن من هذه الفنون فروعا أخرى، ثم أخذوا يبحثون عن أركان كل واحد منها، حتى صار الدرس البلاغي أشبه ما يكون بعملية التفكير، وهي طريقة تعليمية تقليدية لا توقف المتعلمين بالضرورة على أسرار بلاغة اللسان العربي.

عمل عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) على إيجاد منهج جديد لفهم أسرار البلاغة، منهج يختلف تماماً عن المنهج التقليدي. وقد بنى منهجه هذا على أمرين هما: نظم الكلام، والمعنى. وقد أفاض في شرح هذين المكوّنين الأساسيين اللذين يغطيان مساحة واسعة من اللسانيات التداولية. ونظراً لغياب التدوين الذي نستطيع أن نحدد به تاريخ كل فن من فنون البلاغة، والتطور الذي حصل له على أسنة العرب، فإن اللسانيات تستطيع أن تستقرئ هذه الفجوات، فتسدها بمعلومات من داخل هذه الفجوات. ليس المطلوب هو الوقوف على النشأة التاريخية المحددة لكل لون من ألوان البلاغة، ولكن المطلوب هو الوقوف على الترتيب في التطور لهذه الفنون، والوصول إلى فهم أدق لدلالات المضامين البلاغية. ومن هنا كانت صياغة مشكلة البحث على النحو الآتي:

## أثر اللسانيات التداولية في فهم الدلالات البلاغية للتشبيهات في العربية

أهمية هذه الدراسة وأهدافها:

كان دارسو تاريخ البلاغة العربية يبحثون عن التسلسل التاريخي لما قدّمه البلاغيون من فهم وآراء في تشكيل الرؤية البلاغية عند العرب، حتى أصبحت البلاغة علماً مستقلاً من علوم العربية. تجد بعضهم يبدأ من أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) وما وضعه من آراء في فهمه للمجاز في كتابه مجاز القرآن، وهو فهم واسع فضفاض، يشمل كل تغيير في اللغة عن أصل وضعه. من ذلك مثلاً أنه جعل الكلام الذي فيه لغتان مجازاً، فقال في تذكير "الأنعام" من قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَسِفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ) (النحل ٦٦): "ومن مجاز ما فيه لغتان فجاء بإحداهما (ثم ذكر الآية) فالأنعام يُذَكَّر ويؤنث"<sup>(١)</sup>. ويظهر الجاحظ بعد ذلك (ت ٢٥٥ هـ)، وما قدّمه من آراء مبنية على الذوق الرفيع والفهم العميق في فهم علوّ التعبير في اللسان العربي. وظهر بعد ذلك علماء وأدباء كثيرون، كان لكل واحد منهم بصمة في تطوير النظر البلاغي الذي بمقتضاه يتذوق المرء الكلام البليغ. لكن أبرزهم على الإطلاق عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) الذي وضع أسس نظرية كاملة للبيان العربي، هي نظرية النظم، وفيها يربط بين النحو والبلاغة ربطاً قوياً، حتى إنك تتصور المقولة اللسانية المعاصرة: النحو بلاغة، والبلاغة نحو، ماثلة أمام عينيك. ثم ظهر بعد ذلك علماء كثيرون عملوا على تطوير النظر البلاغي الذي به يتذوق الكلام البليغ، إلى أن جاء السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، وألف كتابه: المفتاح وقد ظهرت فيه النزعة التعليمية أكثر من الحرص على بيان الذوق الرفيع في اللسان العربي. وكان لهذا الكتاب أثر كبير في ما جاء بعده من علوم البلاغة.

إن التأريخ (بالمهزة لا بالألف) بالعصور والسنوات، لتطور علوم البلاغة العربية أمر غير منكور، لأنه يكشف لنا عن تطور علوم البلاغة. لكن هذا البحث لا يهدف إلى الوصول إلى هذه الغاية، فقد أشبعها العلماء والدارسون بحثاً، وفي ما قالوه خير كثير. ولكن البحث يهدف إلى تطوير الفن البلاغي نفسه عند العرب أنفسهم، بغض النظر عن الدرس البلاغي عند العلماء في العصور اللاحقة. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، فإن أحداً من الباحثين لم يحفل بهذا الموضوع، وسنرى تحقق هذا التصور في أثناء هذا البحث. وإن معرفة ذلك من شأنه أن يوضح كيف تطور الذوق العربي نفسه، وكيف أن الوعي البلاغي كان عاملاً رئيساً في تطوير العربية، كما كان الوعي اللغوي عاملاً أساسياً في تطوير الوعي الجمالي بعامة، والوعي البلاغي بخاصة.

(١) معمر بن المثنى، مجاز القرآن ج ١، تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت، ص ١٥.

### أسئلة الدراسة:

ثمة سؤال رئيس تهدف الدراسة إلى الإجابة عنه وهو: هل يمكن قراءة تطور الفن البلاغي الذي كان يجري على ألسنة العرب بمقتضى النظر التداولي التقديري؟ وهناك أسئلة أخرى فرعية تنبثق من هذا السؤال وهي:

١. ما أغراض التشبيه التي كانت تجري على ألسنة العرب؟ وما علاقة ذلك بالتطور اللغوي؟
٢. ما التصور المفترض الذي على أساسه يمكن تحديد الترتيب الذي يمكن على أساسه معرفة نشوء كل فرع من فروع التشبيه معرفة تقريبية؟ وما علاقة ذلك بالتطور اللغوي؟
٣. ما علاقة الربط بين أدوات التشبيه بالوظائف الجمالية التي تحملها تلك الأدوات في التشبيه؟
٤. ما التفسير الذي يمكن تبنيه لكثرة ورود التشبيه في الشعر بخاصة، والأدب بعامة؟

### منهج الدراسة:

قد يُظنّ أن منهج هذه الدراسة هو المنهج التاريخي، وليس الأمر كذلك، فإن هذا هو منهج العلماء المعاصرين الذين أحسنوا استخدامه في فهم علم البلاغة من حيث هي علم. منهج هذا البحث هو المنهج اللساني التداولي في قراءة تطور فنون البلاغة، لا من حيث هي قواعد علمية استتبها العلماء جيلا بعد جيل. وهذا منهج مختلف عن المنهج التاريخي البحث، من حيث إن هذا الأخير يُقدر التطور تقديراً استنتاجياً، فهو كما يسمى في الدرس اللساني المعاصر: ما بعد المنطوق metalanguage، لأن أحداً لا يستطيع أن يحدد الزمن المحدد الذي نشأ فيه كل فرع من فروع التشبيه على ألسنة العرب، ولا أقصد علماء البلاغة، ولكن النظر اللساني التداولي يساعد على وضع تصور للترتيب التطوري لفروع التشبيه مثلاً. وهذا هدف أساسي يسعى هذا البحث إلى الولوج في خِصَمَه.

لا يسعى المنهج اللساني التداولي الحديث إلى إحلال نفسه محل البلاغة، ولكنه يشق الطريق إلى فهمها، مع ما يقتضيه ذلك من الولوج في المضمون الدلالي للكلام، وتذهب بعيداً في استخراج مضامينه الدلالة في الفكر والجمال.

### الدراسات السابقة:

لم يكن البلاغيون معيّنين بدراسة تطور الفنون البلاغية دراسة تعمل على ترتيب نشوء كل فن من فنونها، ونشوء كل فرع من فروع هذه الفنون. ولذلك لم ينصرف اهتمامهم إلى هذا الموضوع. وما ورد من لفتات ذكية عند الجاحظ في البيان والتبيين تدل على انبهار السامعين بالقول الرفيع، والكلام

البلوغ. وما جاء في كتاب الدكتور شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ فهو دراسة تاريخية معمقة للدرس البلاغي عند العلماء والمفسرين، وليس دراسة لتطور الفن البلاغي نفسه عند العرب. وقد عمل ما كان يجري من تسابق بين الشعراء في سوق عكاظ وذو المجاز وغيرها هو من هذا القبيل. ولذلك يبدوون به باعتباره منشأ تاريخياً مقروءاً لتاريخ البلاغة. لا نستطيع القول إن المكتبة البلاغية ليس فيها شيء مما يريد البحث أن يصل إليه. لقد أمدت مراجع هذا البحث تصورات أساسية بمادة غزيرة.

### المبحث الثاني: التشبيه - تعريفه، أنواعه، وتطوره

في هذا المبحث مطلبان هما: مفهوم التشبيه وتعريفه، والثاني أنواع التشبيه وتطورها بالتقدير التداولي.

#### المطلب الأول: تعريف التشبيه

يُعرّف بعضهم التشبيه بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لآخر" و بأنه "الحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما"<sup>(١)</sup>. إن التشبيه أكثر من كونه مشاركة، وإلا لصح أن تكون عبارة: "زيد شريك لعمرو في المسؤولية" تشبيهاً، وليس الأمر كذلك. ولو كان إحقاقاً لكانت عبارة: "فلان ملحق بنسب بني فلان" تشبيهاً، وما هو كذلك. والذي نراه أن التشبيه وصف شيء بشيء آخر لصفة أو أكثر مشتركة بينهما.

وبمقتضى النظر التداولي، فإن وصف المشبه بالمشبه به لا يعني أنهما قد أصبحا متطابقين، فقولنا زيد كالأسد، يعني بإدبي الرأي أنه ليس أسداً، ولكنه يشبهه، ويعني كذلك أن المشبه به غاية يتوخى الوصول إليها. ولذلك قالوا: المشبه به أقوى من المشبه، أي أن المشبه به أقوى في الصفة من الركن الأول الذي هو المشبه. ولولا ذلك لما كان لتشبيه شخص بأنه أسد قيمة تُرجى. وينطبق هذا على التشبيهات السلبية والسالبة. أما السلبية فهو أن تشبه شيئاً مكروهاً بشيء آخر مكروه، كأن نقول فلانٌ كالثعبان. وأما السالبة فكالنفسي في مثل قوله تعالى: (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) (الحج ٢)، فنفي كونهم سكارى بعد أن وصفهم بأنهم سكارى، يعني أن ثمة صفة مشتركة بين المشبه والمشبه به، تكون موجودة في السكارى، فهم إذن سكارى بهذا الاعتبار، لكنها غير ما يكون في السكارى، فهم ليسوا سكارى باعتبار آخر. وهذا قائم على مبدأ التشاكل والتباين اللذين يتكاملان في إنشاء منظومة تصويرية، تسير فيها خطوط التشابه والتباين على نحو تكاملي، لا تتناقض فيه. ولسنا نفرق بين تطور اللغة واجتماع التشاكل والتباين في التشبيه، فإنهم لما أرادوا أن يبلغوا حدًا واضحًا في

(١) عباس، فضل حسن. البلاغة - فنونها وأفانها، البيان والبدیع (ط١٧)، عمان: دار الفرقان، ٢٠٠٧، ص ١٧.

تشبيه شيء بشيء آخر، أظهروا ما بينهما من تماثل في الصفات، وأسقطوا من النطق ما يتباينان فيه، فقالوا زيد كالأسد - أو أي تعبير تشبيهي آخر - وأسقطوا من النطق أنه ليس أسداً، وظل ذلك مفهوماً مما وراء اللغة، بحسب التعبير الشائع في الدراسات التداولية المعاصرة.

### المطلب الثاني: أنواع التشبيه وتطورها

#### أولاً: التشبيه المفرد

هو التشبيه الذي يكون فيه كل من المشبه والمشبّه به مفرداً، فلا هو تمثيل حالة ظاهرة بحالة أخرى ظاهرة، ولا هو حالة ضمنية بين طرفي التشبيه. وكونه مفرداً لا يعني أنه كلمة واحدة فقط، فقد يكون تعبيراً من مضاف ومضاف إليه مثل قولنا: رجل العلم كالسيف في دفع الباطل. وآية كونه مفرداً في هذا المثال أنك يمكن أن تستبدل به كلمة واحدة، هي كلمة (العالم)، ويمكن أن يكون مختصاً بوصف كما في: الرجل الصادق كحدّ السيف، ويمكنك أن تستغني عن الموصوف (الرجل)، فنقول: الصادق كحدّ السيف، وهكذا في كل ما يشبه ذلك.

إن من خصائص التطور اللغوي ومقتضياته أن الحسيات تغلب على التجريد في البدايات، وفي النشأة الأولى للغة. وهذه القضية أصبحت في الدرس اللساني المعاصر من البدهيات الأساسية. ومن هذه الخصائص أيضاً أن التفصيل الحسي يكون له حضور واضح في البداية، ثم يأخذ التجريد مكانه في تطوير التعبيرات اللغوية. ومما هو واضح لدينا أن الحذف والإضمار صورتان من صور التجريد، لأن المتكلم يفصح عن بعض ما يريد بما يقول، ويترك للمتلقي بعضاً آخر يتصوره أو يقدره، وهذا تجريد، لكنه أقرب درجات التجريد إلى المحسوسات.

في ضوء هذه القاعدة نستطيع أن نتصور أن التشبيه المرسل المفصل كان في المرحلة الأولى من تاريخ التشبيه في العربية، لأن أركان التشبيه الأربعة تجتمع فيه، وهي: المشبه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. وعلى ذلك يكون التعبير عن سعة الكرم مثلاً في مثل قولهم: فلان كالبحر في كرمه، وكل ما كان على هذه الصورة من التشبيه، أقدم من التشبيهات التي نشأت عنه بعد ذلك. وقد سمّى البلاغيون هذا التشبيه بالمرسل المفصل، لأن أداة التشبيه مرسلة في العبارة، أي موجودة فيها وجوداً نطقياً وليس تقديرياً. ووصفوه بأنه مفصل، لأن العرب فصلت التشبيه بما هو كائن في المشبه والمشبّه به. ومما نجده في هذا التشبيه اتساع التعبير وتضييق المعنى، بالقياس إلى الأنواع الأخرى من أنواع التشبيه. وبيان ذلك أنه كلما زاد المجال اللفظي بالتفصيل ضاق المعنى<sup>(١)</sup>، فقولنا مثلاً: فلان

(١) انظر:

p 114. Cambridge University press, in Linguistics. j. Allwood & et al. (1981). Logic

كالجبل في ثباته، أوسع في المجال اللفظي من: فلان كالجبل، لكنّه أضيق في المعنى من قولنا: فلان كالجبل، لأن حذف وجه الشبه يفتح المجال لتقديرات دلالية أخرى، فقد يكون فلان هذا مثل الجبل في ثباته، أو شموخه، أو ما شئت من مثل هذه التقديرات. ومثل ذلك يقال في عبارة: فلان كالكوكب الدريّ في تلالئه، فإن سعة المجال اللفظي حصرت التشبيه في التلاؤ فقط، في حين أننا لو قلنا: فلان كالكوكب الدريّ فقد ضيقنا المجال اللفظي، ولكننا وسّعنا المعنى، فقد يكون التقدير الدلالي الذي يدل عليه التشبيه: فلان كالكوكب الدريّ في الجمال، أو في العطاء، أو في الحيوية، أو في الحضور، أو ما شئت من مثل هذه التقديرات. هذا يوضح لنا - في التحليل الأخير - أن التشبيه الذي يسميه البلاغيون: التشبيه المرسل المجمل - أي الذي تكون فيه أداة التشبيه موجودة، وكذلك المشبه والمشبه به، مع عدم وجود الركن الرابع وهو وجه الشبه - أقدم من التشبيه المرسل المفصل، (أي الذي يحذف منه وجه الشبه فقط) بل هو أقدم التشبيهات جميعاً.

أما حذف أداة التشبيه، فيمثل مرحلتين من التطور. وقبل الولوج في الحديث عن تيّك المرحلتين أودّ أن أشير هنا إلى أن الفرق هائل في الدلالة بين قولنا: فلان كالجمل، وفلان جمل. ذلك أن الكاف للتقريب، أي لتقريب المشبه من المشبه به. فلما حذفت الكاف من قولنا: فلان جمل، دل ذلك على أن التقريب بين المشبه والمشبه أوضح وأمثل من أن يُحتاج معه إلى أداة لهذا التقريب. هذا هو الوعي اللغوي الدلالي الذي كان يتمثل في أذهان العرب وهم يطورون لغتهم، ويطورون فنونها التعبيرية، ومنها التشبيه دون شك. أما المرحلتان اللتان مرّ بهما حذف أداة التشبيه، فقد أظهرتا لنا صورتين من صور التشبيه هما: التشبيه المؤكد المفصل، في مثل: زيد بحرّ في كرمه، والتشبيه المؤكد المجمل، وهذا الأخير هو الذي يسميه البلاغيون التشبيه البليغ. وعلى ذلك نستطيع أن نتصور تصورا افتراضيا لترتيب تطور التشبيه المفرد الذي يشمل هذه التشبيهات الأربعة على النحو الآتي:

أولاً: التشبيه المرسل المفصل في مثل: لغة فلان كالسيل في تدفقها. وقد وضحنا سبب تصورها لأقدمية هذا النوع من التشبيه.

ثانياً: التشبيه المرسل المجمل في مثل: لغة فلان كالسيل. أما تصور مجيء هذا التشبيه بعد التشبيه السابق مباشرة في التطور، فإن حذف وجه الشبه أقل تجريداً من حذف أداة التشبيه، لأن حذف أداة التشبيه يفتح الحد التقديري للمطابقة بين المشبه والمشبه به.

ثالثاً: التشبيه المؤكد المفصل مثل: لغة فلان سيلّ في تدفقها.

رابعاً: التشبيه المؤكد المجمل في مثل: لغة فلان سيل. وأما كون هذا التشبيه هو غاية تطور أقسام التشبيه المفرد، فلأن فيه تجريدين هما: حذف وجه الشبه، وأداة التشبيه. قال سعد الدين

التفتازاني: "وأوكدها (التشبيهات) ما حُذِف فيه الوجه والأداة"<sup>(١)</sup>. ومن بدائع التطور في هذه التشبيهات ما هو آت:

١. مع أن الثابت في الدرس اللغوي المعاصر أن اللغات تستغني عن كثير مما كان في مراحل نموها القُدمى وتطويه من الاستعمال، فإن التشبيهات المفردة التي ذكرناها، بقيت كلها ماثلة في العربية الفصيحة، لا باعتبار كونها من الرسوبيات اللغوية، ولكن باعتبار أنها تؤدي وظائف جمالية لا يُستغنى عنها، قال ابن يعقوب المغربي " فيُخاطب بكلّ من هذه الأوجه في هذه الأبواب بما يُناسب المقام من الخفاء والوضوح، ويُعرف ذلك بهذا الفنّ، ويأتي ما فيه "<sup>(٢)</sup>.
٢. لقد كانت العربية تطور نفسها بما هو جديد، وكانت تطور نفسها كذلك بالإبقاء على ما هو وظيفي يصلح للحاضر والمستقبل مما هو قديم. وإنكار القِدَم يعني إنكار أنفسنا في النهاية، لأننا نمثل ماضيًا في حاضرنا، وما نحن إلا نتاج الماضي والحاضر، وكذلك اللغات الإنسانية. والعربية خير ما يمثل هذه المقولة.
٣. لا نستطيع أن نفصل التشبيهات بصفة عامة عن المبالغة<sup>(٣)</sup>، بل إن التشبيه من المبالغة قريب من قريب، فإنك وأنت تصف شخصا بأنه أسد أو كالأسد، أو بحر أو كالبحر، فإنك في ذلك تشق الطريق إلى مبالغة واضحة. ومما هو معروف أن البلاغيين العرب جعلوا المبالغة فنا مستقلا بذاته، مما يعني أنهم لم يفتنوا إلى علاقة التشبيه بالمبالغة.
٤. ذهب بعض اللسانيين المعاصرين إلى أن تطور اللغة يكون على نحو من العشوائية التي يظهر فيها عدم الانتظام<sup>(٤)</sup>. وإذا طبقنا كلامهم هذا على ما استقرّ عليه استمرار استعمال الأنواع الأربعة من التشبيه المفرد، انتهينا إلى نزع وظيفة جمالية مرتبطة بالمواقف المختلفة. هذه المواقف هي التي كانت تستدعي استعمال هذا النوع أو ذاك من التشبيهات المفردة. فلا يكون في ذلك شيء من العشوائية التي ادعوها.
٥. إن تطوير التشبيهات المفردة على النحو الذي وضحنا تصورنا له، كانت قضية التجريد أساسية فيه. وهي مسألة مرتبطة بتطور الوعي والذوق الجماليين عند العرب، فإن تطور الوعي الذهني

(١) التفتازاني، سعد الدين. شرح التلخيص، ضمن مجموعة شروح التلخيص، الجزء الثالث، ص ٢٦١.

(٢) المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٢٦١.

(٣) انظر: Donald Freeman (197), . Linguistics and Literary Style, Holt, Rinehart and Winston, p231.

(٤) انظر: Theodora Bynon Historical Linguistics. Cambridge University Press, p 21 (1988).

للجمال هو المصدر الذي يُحدث بلاغة القول، فكما أن الوعي الذهني في تطور، فإن القول البليغ متطور تبعاً لذلك.

٦. كانت قضية التشاكل والتباين ماثلة في الوعي الذهني عند العرب، وهم يتأملون ما ينبثق من جمال التعبير على ألسنتهم، فإن اللغة لا تكتمل إلا بوجود التشاكل والتباين في حاضرها الذي يمثل حضور الوعي الذهني، والتذوق الجمالي. والتشبيه مرتبط بهذه القضية، بل هو مظهر لها، لأنه صورة معبرة عن قضية التشاكل والتباين. وقد تتبّه بعض الغربيين إلى قضية التشاكل والتباين هذه، ومنهم ياكوبسون Jacobson الذي أولى اهتماماً بالغاً لهذه الثنائية، وأظهر أثرها في تحليله لبعض النصوص الشعرية.

٧. إن في مراحل التطور التي ذكرناها آنفاً ما يدل على أن المعنى كان سيد الموقف في تطور العربية وتعبيراتها وتشبيهاتها.

٨. إذا نظرنا إلى أدوات التشبيه باعتبارها روابط فقط فإن ذلك النظر قد يفسد الوظيفة الجمالية التي تؤديها أدوات التشبيه في بناء الصورة التشبيهية. لا ننكر أن تلك الأدوات تؤدي تلك الوظيفة. ولكنها في نظرنا وظيفة جمالية بلاغية، وليست للربط المجرد عن الجمال. وللأدوات وجود مستكنّ في بناء التشبيه حتى عندما تسقط أداة التشبيه. فإن عبارة فلان أسد تحمل بين طياتها أداة تشبيهية مفترضة يدركها السامع حتى وهي غير موجودة، فيفهم من التشبيهين الآتيين: زيد أسد، وزيد أسد في الشجاعة، أنه يشبه الأسد. فنحن لا نستغني عن تصور هذه الأداة حتى ونحن نسقطها من التشبيه.

وقبل أن نبرح الحديث عن هذا الموضوع لا بدّ لنا من وقفة متأنية عند تطور استعمال أداة التشبيه، فنحن نعلم أن أداة التشبيه يمكن أن تكون الكاف، والأداة المركبة (كأنّ)، ويمكن أن تكون بالاسم (مثل)، وبغيرها من الكلمات التي تدل على التقريب الذي غايته التشبيه، وهي معروفة في درس البلاغي، وليس لنا حاجة في ذكرها هنا. والأصل في هذه الأداة أن تكون مفردة غير مندمجة مع غيرها، فنقول: فلان كالأرنب، أو فلان مثل الأرنب. هذا هو الأصل، ولكن هاتين الأداتين اندمجتا في مرحلة لاحقة في كلمة واحدة هي (كمثل). ولا يمكن أن تكون هذه الكلمة الأخيرة هي الأصل، لأنه عند وجود المُكوّنين (الكاف + مثل) - وكلّ منهما يؤدي الغرض التشبيهي بمفرده - لا بدّ أن يكون كل واحد منهما أقدم منهما مجتمعين. هذا يعني أن الكاف وحدها، أقدم من (كمثل). وكذلك الشأن في (مثل)، فإنها أقدم منهما مُجتمَعين في كلمة واحدة.

لكن أيهما أقدم: الكاف أم كلمة (مِثْل)؟ إننا نتصور تصورًا افتراضيًا - لا ينفيه شيء إلا إثبات عكسه إثباتًا أرجح منه - أن كلمة مِثْل أقدم من الكاف، لأن دلالة كلمة (مِثْل) على التشبيه دلالة أصلية فيها، في حين أن دلالة الكاف ذهنية، فالحرف في ذاته يدل على المعاني التي تُعطى له من السياق، فهي ليست منه في الأصل، ولكنها تُعطى له من غيره، وهو السياق. وهذا يعني أن دلالة الكاف على التشبيه مرحلة لاحقة لمرحلة الكلمة الدالة على التشبيه بنفسها، وهي (مِثْل). لكنّ وظيفتها الدلالية مختلفة عن دلالة (كمِثْل) دون شك.

ينبغي أن نتنبه - في هذا السياق - إلى أن شأن الكلمة المركبة (كمِثْل) في ذلك كشأن الكلمة المركبة (كأنّ)، فهي مركبة من الكاف وأنّ مع اختلاف كبير في الدلالة. ففي قولهم: كأنّ فلانا قمرًا، تقليل من شأن التوكيد الذي تدل عليه أداة التوكيد (أنّ)، فعبارة إنّ زيدًا قمرًا أقوى من: كأنّ زيدًا قمر. والسبب في ذلك هو أنّ الكاف قللت من دلالة أنّ على التوكيد.

ثمرة هذه المعرفة الجزئية التفصيلية تفيد في فهم النصوص فهما أوضح، وهذا مائل في صحة فهم قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى ١١). فقد ذهب العلماء مذاهب شتى في إعراب الآية، وكان الهدف من كل أعراب تخلص الآية مما علق في أذهانهم من شبهة. ولا يبرأ واحد من هذه التصورات من نقص في التصور. فقد ذهب الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) إلى أن ذلك من باب الكناية، فقد كانت العرب تقول: "مِثْلُكَ لا يَبْخُلُ"، فكفوا بالبخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته، فكأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص، كان نفيًا عن الشخص<sup>(١)</sup>.

قلت: هذا التقدير لا يستقيم، لأن العرب كانت إذا أرادت نفي الشيء عن مثل الشخص، لم تكن تقصد أن تنفي وجود مثيل لذلك الشخص، بل كانت تنبته، لكنها كانت تنفي أنه يفعل ذلك. وبهذا لا يستقيم تقدير الزمخشري. ثم انظر إلى ما ذهب إليه أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) الذي أعاد ما ذهب إليه الزمخشري بألفاظه دون تغيير كبير، ثم استشهد بما نسبه إلى أوس بن حجر (ت ٢ ق. هـ)، وليس موجودًا في ديوانه فقال: "ومثل الآية قول أوس بن حجر:"

ليسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زَهِيرٍ      خَلَقَ يُوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ<sup>(٢)</sup>

(١) الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف ٤٦٢/٣.

(٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. الدر المصون، تحقيق أحمد الخراط، دمشق: دار القلم ١٩٩٣، ٥٤٣/٩.

وما ذهب إليه السمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ) لا يختلف كثيراً عما ذهب إليه الزمخشري ونقله عنه أبو حيان، إلا أن السمين أضاف إليه "أن الكاف زائدة في خبر ليس، وشيء اسمها ... قالوا: ولولا ادعاء زيادتها للزم أن يكون له مثل" (١).

قلت: ولو أنهم نظروا إلى المركب التشبيهي (كمثل) كما ينظرون إلى (كأن) على أساس أنها وحدة تشبيهية كاملة، بغض النظر عن مكوّنيها، لما ذهبوا إلى هذه التقديرات التي لا تنفي عن الله تبارك وتعالى ما أرادت الآية أن تنفيه عنه. فالكلمة المركبة (كمثله) تؤدي التشبيه بنفسها وهي مركبة، ولم تعد تؤدي بمكوّنيها منفصلين. والكلمات المركبة التي تؤدي وظيفة واحدة بغض النظر عن مكوّنيها الأصليين كثيرة في العربية منها: لولا، ولوما، وما عدا، وما خلا، وإنما، وإلا (أصلها إن + لا)، وألا (باللام المخففة لإفادة التنبيه)، وايمن المستعملة في القسم. وهكذا (كمثل) فإنها تؤدي التشبيه بنفسها مركبة، ولم يعد للتشبيه بمكوّنيه: الكاف ومثل، وجود مستقل. وهي على كل حال مرحلة لاحقة لهذين المكوّنين، ولكن دون أن يمحوا اللاحق وجود المكوّنين السابقين وهما مستقلان.

وفي هذا المجال لا بد أن نفرق بين الكلمتين المركبتين: كَمَثَلٌ، وكَمِثْلٌ، وهذه الأخيرة هي التي تحدثنا عنها، وهي أداة تشبيه مركبة، تؤدي وظيفتها باعتبارها أداة واحدة مركبة، بغض النظر عن الجزئين اللذين تتركب منهما. والكلمة الثانية هي كَمَثَلٌ، بفتح الميم والثاء. فهذا التركيب مكوّن من الكاف، ومَثَلٌ. والتشبيه مقتصر على الكاف. أما (مَثَلٌ) فتعني: شأن، كما في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران ٥٩)، فكأنه قال: إن شأن عيسى عند الله كشأن آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فكان.

### ثانياً: التشبيه التمثيلي

هو التشبيه الذي يكون فيه كل من المشبه والمشبه به حالة مركبة، وقد تكون أداة التشبيه موجودة في التركيب، كما في قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) (البقرة ١٧). ومثل ذلك ما قاله النابغة الذبياني (ت ???):

١٨ ق. هـ (٢):

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبٌ

(١) (أبو حيان) الأندلسي، محمد بن يوسف. البحر المحيط ٤٨٤/٧.

(٢) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، ديوانه، ص ٨٨، والبيت من البحر الطويل.

وتفسيره: إنَّ مَثَلَك بين الملوك كمثل الشمس التي إذا طلعت اختفت مع طلوعها النجوم، وكذلك أنت في الملوك إذا ظهرت اختفوا. وقال المتنبي (ت ٣٥٤هـ) يصف أعرابية وقع في غرامها، مع ما فيها من تَمَنُّع وإِبَاء:

كأنها الشمسُ يُعْبي كَفَّ قابضِهِ شعاعُها، ويراهُ الطَرْفُ مقتربا (١)

ويظهر في هذا التشبيه مقابلة مركبة بين حالتين، فإن الشاعر يقابل بين أنس حبيبته، على ما فيها من تناءٍ عن الوقوع في يد حبيبها، بشعاع الشمس الذي لا يستطيع المرء أن يقبض عليه بكفه، على ما يظهر من قرب منه إليه.

وقد تكون العلاقة بين المشبه والمشبه به في التشبيه التمثيلي بعيدة، دون أن يُضعف ذلك قدرة بعض الشعراء على الإبداع في التصوير. وقد جاء توضيح هذه المسألة عند يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ) بعد أن استشهد بقول المتنبي:

تُشرقُ أعراضُهُم وأوجُهُهُم كأنها في نفوسهم شِيَمٌ (٢)

قال العلوي واصفا العلاقة بين المشبه والمشبه به في مثل هذا البيت، بأنه لا جامع بينهما ولا رابطة تشملهما (٣).

ويستنتج من كون التشبيه التمثيلي مركبا عدة أمور:

أولها: أننا - باعتبار التطور اللغوي والحس والوعي الجماليين - نتصور أن نشوء التشبيه التمثيلي كان متأخرا عن نشأة التشبيه المفرد.

وثانيها: أن التشبيه التمثيلي نفسه هو صورة من صور تطور الوعي الجمالي اللغوي الذي يصل الأشياء بعضها ببعض على الرغم من تباعد المشبه والمشبه به.

وثالثها: أن التشبيه التمثيلي الذي يبدو فيه المشبه والمشبه به متباعدين (لا جامع بينهما، ولا رابطة تشملهما بتعبير العلوي) هو مرحلة متأخرة من مراحل تطور هذا النوع من التشبيه، بمعنى أن إيراد التشابه بين ركني التشبيه مع ما بينهما من تباعد ظاهري، دليل على تطور العربية والذهنية العربية في الوصول إلى هذه المرحلة، دون أن تمحو المراحل التي قبلها في تطور أنواع التشبيه المفرد.

(١) المتنبي، ديوانه، بتحقيق عبد الرحمن البرقوقي، ج ١، ص ١٩٠، والبيت من البسيط.

(٢) المتنبي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٤١٧، والبيت من المنسرح

(٣) العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز، تحقيق الشربيني شريدة، ج ١، ص ٢٣٢.

ورابعها: أن التشبيهات ربما كان مجالها في الشعر أوسع من مجال النثر، وإن كان وجودها فيه غير منكور، فقد تأكد ذلك بوجود هذا التشبيه في القرآن الكريم، وفي بعض كلام العرب.

وخامسها: أن نشأة هذا النوع المركب من التشبيه مرتبط بتطور الخيال، وقدرته على خلق الروابط بين الأشياء بصورة تحدث صدمة في الوعي التخيلي عند المتلقي، فتجعله يعيش قدرًا من التجربة الشعرية بأبعادها الذهنية والخيالية والعاطفية عند الشاعر.

وسادسها: أن التشبيه التمثيلي أقل نسبيًا من التشبيه المفرد، لكونه أكثر تركيبًا من التشبيه المفرد، ولأن فيه درجة من التجريد الذهني - وهو التجريد الذي يجعل خيال الشاعر أو الأديب - يربط بين أمرين ليس بينهما رابط، ولكن الشاعر هو الذي يوجد هذا الرابط.

عرفنا إذن مرتبة التشبيه التمثيلي في النشأة، فتصور نشوئه بعد التشبيه المفرد يؤيده المنطق العلمي. ولكنه لا يوجد أثر مكتوب يحدد لنا نشأة هذين التشبيهين. والتوصل إلى الأصل وما تفرع عنه مسألة يمكن إدراكها بالمنطق العلمي، وما تؤتيه البيانات الموضوعية من دلائل داخلية.

وقد جاء كثير منه في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) (الأنعام ١٢٥).

وقد تطور هذا النوع من التشبيه بعد ذلك تطورًا كبيرًا في العصر العباسي الثاني، وخاصة في شعر المتنبي الذي يقول:

كَأَنَّمَا قَدَّهَا إِذَا انْفَتَلْتُ سَكَرًا مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا تَمَلُّ (١)

يشبه الشاعر حبيبته وهي تتحرك منفلة بأن قدَّها يتمايل كما يتمايل الرجل الذي تسكره نظرة من عينها. وإن التشبيه التمثيلي في شعر المتنبي كثير كثرة تستدعي أن تخصص له دراسة مستقلة.

### ثالثاً: التشبيه الضمني

هذا التشبيه فيه قدر واضح من التجريد، فأداة التشبيه تكون محذوفة، ولكنها مقدرة، لأن تقديرها هو الذي يعيد تركيب التشبيه، بمعنى أنه لولا تقديرها لما كان هناك تشبيه. وفي التشبيه الضمني في الشعر يكون الشطر الثاني من البيت دليلاً أو برهاناً على صحة المقولة الموجودة في الشطر الأول، كما هو واضح في قول أبي العتاهية (٢١٣ هـ):

(١) ديوان المتنبي بتحقيق عبد الرحمن البرقوقي، الجزء الثاني، ص ٢٣٢، والبيت من البسيط.

تَرْجُو النجاةَ، ولم تسلكُ مسالكها      إن السفينة لا تجري على اليبس<sup>(١)</sup>

وقول المتنبي:

مَنْ يَهْنُ يَسْهُلُ الهوانُ عليه      ما لَجْرِحِ بِمَيِّتٍ إِيلامُ<sup>(٢)</sup>

يريد أن الإنسان الذي يكون هينًا في نفسه، فإنه يستسهل هوانه على الناس، مثلما أن الميت لا يحس بالجرح. وتبدو المقولة التي في الشطر الثاني حكمة، وقد أصبحت مثلًا يتداوله الناس.

ومن خصائص التشبيه الضمني أنه أصعب أنواع التشبيه من حيث إن التوفيق بين المشبه والمشبه به قائم على تجريد، فلا علاقة أصلاً بين المشبه والمشبه به، ولكن الشاعر أقام هذه العلاقة فكان في تصويره لها بُعدٌ في النظر والتأمل. ولما كان التشبيه الضمني قائماً على هذا القدر من النظر والتأمل والتجريد، كان أقل التشبيهات دوراناً على الألسنة. وقد تأتي على ديوان كامل ليس فيه تشبيه ضمني واحد، كما هو الحال في ديوان العباس بن الأحنف (ت ١٩٢ هـ)، وديوان ابن هانئ الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) ليس فيه تشبيه ضمني واحد، على كثرة ما فيه من الصور البلاغية من مجازات واستعارات وتشبيهات، وديوان ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨ هـ) ليس فيه تشبيه ضمني واحد. وقد تأتي على ديوان كامل من دواوين الشعراء المعاصرين فلا تجد تشبيهاً ضمناً واحداً فيه. من ذلك مثل ديوان معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م) الذي لا تجد فيه من أوله إلى آخره تشبيهاً ضمناً واحداً. وكذلك ديوان إبراهيم ناجي (ت ١٩٥٨م)، ودواوين عباس محمود العقاد (ت ١٩٦٤م) العشرة المجموعة في مجلدين كبيرين بعنوان: ديوان العقاد، ليس فيه تشبيه ضمني واحد. وكذلك ديوان عبد المنعم الرفاعي (ت ١٩٨٥) على الرغم من كونه من شعراء الشعر المحافظ. وليس في هذا انتقاص من قدر شعر هؤلاء الشعراء، ولكن التشبيه الضمني هذه سبيله.

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٦٣، والبيت من البسيط.

(٢) ديوان المتنبي، الجزء الثاني، ص ٤٢٨، والبيت من البحر الخفيف.

## النتائج والتوصيات

## أولاً: النتائج

توصل هذا البحث إلى عدد كبير من النتائج الجزئية والكلية. أما النتائج الجزئية فمبثوثة في ثنايا البحث. ومن أهم النتائج الكلية ما يأتي:

١. إن التشبيه بأنواعه كلها صورة من صور المبالغة، فقولك: زيد كالأسد هو في حقيقته مبالغة، لكن البلاغيين لم يشاروا إلى ذلك.
٢. وضع البحث تصوراً ترتيبياً لنشأة كل واحد من التشبيهات، بتطبيق المنطق التداولي في ترتيب الأحداث، وهو منطق يستتبط الأحكام من داخل الموضوع حين لا يكون هناك دليل آخر قطعي على الترتيب.
٣. إن أحدث تشبيهين في اللسان العربي هما: التشبيه التمثيلي، والتشبيه الضمني.
٤. أقل التشبيهات دوراناً في العربية هي: التشبيه التمثيلي والتشبيه الضمني. والتشبيه الضمني أحدثهما. وقد بحثت عن التشبيه الضمني في عدد من الدواوين فلم أجد تشبيهاً ضمناً واحداً، مثل ديوان الخنساء، وديوان العباس بن الأحنف.
٥. توصل البحث إلى تحديد المعنى المراد من قوله تعالى: " ليس كمثل شيء "، وهو المعنى الذي ذهب النحاة والمفسرون كل مذهب في تقديره. وكان سبب اختلافهم في الفهم عدم الانتباه الدقيق لأداة التشبيه المركبة "كمثل".

## ثانياً: التوصيات

ثمة أمور لا بدّ من متابعة دراستها، وفي مقدمتها ما يلي:

١. دراسة دوران التشبيهين التمثيلي والضماني في عدد آخر من دواوين الشعراء.
٢. البحث عن جماليات التعبير البلاغي في التشبيهين التمثيلي والضماني.
٣. البحث عن ارتباط الزمان والمكان بتطور التشبيهات.

## المراجع

### أولاً: المراجع العربية

- ابن الأحنف، العباس (١٩٢هـ / ٨٠٩م). ديوان العباس بن الأحنف، بيروت: دار صادر ٢٠٠٨.
- الأندلسي، محمد بن هانئ (٣٦٢هـ / ١٠٠٣م). ديوان محمد بن هانئ الأندلسي، تح العيلاوي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨.
- ابن بحر، عمرو "الجاحظ" (٢٥٥هـ / ٧٧١م). البيان والتبيين، بيروت: دار الفكر للجميع، د. ت.
- التفتازاني، مسعود (٧٩٢هـ / ١٣٩٠م). شرح التفتازاني - ضمن مجموعة شروح التلخيص، القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٧.
- الجرجاني، عبد القاهر (٤٧١هـ / ١٠٧٨م). دلائل الإعجاز، تح محمود شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي ٢٠٠٤.
- ابن الحسين، أحمد "المتنبي" (٣٥٤هـ / ٩٩٥م). ديوان المتنبي بشرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٩٩٥.
- الذبياني، زياد بن معاوية "النايعة" (١٨ق.هـ / ٦٠٥م). ديوان النايعة الذبياني، تح محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع ٢٠٠٩.
- الزّمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ / ١١٤٣م). الكشف، طهران: انتشارات آفتاب، د. ت.
- شرف، حفني. الصور البيانية بين النظرية والتطبيق، القاهرة: نهضة مصر ١٩٦٥.
- الطرابلسي، أحمد بن منير (٥٤٨هـ / ١١٥١م). ديوان ابن منير الطرابلسي، تح عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦.
- عباس، فضل حسن. البلاغة - فنونها وأفانها، ط ١١، عمان: دار الفرقان ٢٠٠٧.
- العقاد، عباس محمود. ديوان العقاد، بيروت: المكتبة العصرية، د. ت.
- العكبري، عبدالله (٦١٦هـ / ١٢١٩م). إملء ما مَنَّ به الرحمن، تح إبراهيم عطوه، القاهرة: مكتبة البابي الحلبي ١٩٦٩.
- ابنة عمرو، تماضر "الخنساء" (٢٤هـ / ٦٤٥م). شرح ديوان الخنساء، بيروت: مكتبة الحياة، د. ت.
- ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ، ط ١٢، القاهرة: دار المعارف ١٩٦٥.
- العلوي، يحيى بن حمزة (٧٤٧هـ / ١٣٤٨م). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح الشربيني الشريدة، القاهرة: دار الحديث ٢٠١٠.
- ابن المثنى، معمر (٢٠٩هـ / ٨٢٤م). مجاز القرآن، تح محمد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٤.

ابن يوسف، أحمد "السمين الحلبي" (١٣٥٥م/٧٥٦هـ). الدرّ المصون، تح أحمد الخراط، دمشق: دار القلم ١٩٨٦.

ابن يوسف، محمد "أبو حيان الأندلسي" (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م). البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.

### ثانياً: المراجع الأجنبية

Allwood, Jens; Lars-Gunnar; Osten Dahl. Logic in Linguistics (1981). Cambridge University Press.

Bynon, Theodora (1988). Historical Linguistics. Cambridge University Press.

Freeman, Donald (1970). Linguistics and Literary Style. Holt, Rinehart and Winston, Inc.

Grebanier, Bernard (1975). The Enjoyment of Literature. Crown Publishers, Inc., New York.